جماليات الرَّمز في شعر إيليا أبو ماضي
دراسة أدبية نقدية

د. ميرغني حمد ميرغني حمد

أستاذ مشارك- كلية التربية – جامعة كسلا

د. صلاح التوم إبراهيم محمد

باحث- مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر

المستخلص

هدفت الدراسة إلى استقراء تجربة الشاعر إيليا أبو ماضي التي قام بتوظيف الرمز فيها. ومحاولة لكشف جماليات شعره الرمزي. واكتشاف إبداعات أبو ماضي وكنوزه الفنية ودور الرمز في تطور تجربته الشعرية. وتأتي أهمية الدراسة من كونها تثري الأدب العربي من خلال إبداعات أبو ماضي وتفرده في موضوع الرمز، ودراسة ألفاظه الحية وأسلوبه الهادف العميق. اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي والاستقرائي. توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج، من أهمها: مزج أبو ماضي في شعره الرمزي بين الخيال والفكر والعاطفة في صورة فنية متكاملة تجذب انتباه القارئ - نظر أبو ماضي إلى الحياة العامة فالتقط الأشياء الصغيرة العابرة وعبر عنها تعبيراً جميلاً صادقاً يضفى عليها الحيوية، مستفيداً من كنوزه الإنسانية وثقافته الأجنبية التى تزود منها - أحدث أبو ماضي في شعره الرمزي تجديداً في الكلمة الشعرية وجعلها تتسع لمضامين الحياة الاجتماعية والفكرية والنفسية بأسلوب بسيط واضح - إن دراسة الشعر الرمزي عند إيليا أبو ماضي تعطى القارئ العربي أوسع صورة وأشمل فكرة عن شعراء المهجر وعن أدبهم. ومن توصيات الدراسة: مقارنة الشعر الرمزي عند إيليا أبو ماضي مع شاعر آخر من شعراء المهجر - الاهتمام بشعر إيليا أبو ماضي في المدارس والجامعات والمنتديات الأدبية والاستفادة منه في غرس القيم الفاضلة.

الكلمات المفتاحية: الخيل، التشبيه، وصف الخيل، بلاغة

Abstract

This study aimed to extrapolate the experience of the poet Abu Madi in which he employed symbols. And an attempt to reveal the aesthetics of his symbolic poetry. The importance of the study comes from the fact that it enriches Arabic literature through the creativity of Elia Abu Madi and his uniqueness in symbolic poetry. The researchers followed the descriptive, analytical and inductive method. The study reached a number of results, the most important of which are:

In his poetry, Abu Madi mixed imagination, symbolism, and emotion in an artistic image that attracts the reader's attention. Abu Madi beautifully expressed the small things he picked up from nature. In his symbolic poetry, Abu Madi renewed the word, benefiting from his local and international culture. Among the study's recommendations: Comparing Abu Madi's symbolic poetry with that of another poet. Paying attention to Abu Madi's poetry and benefiting from it in schools, universities, and literary forums to instill virtuous values.

Keywords: Abu Madi, symbol, Aesthetics, Immigration Poetry

مقدمة:

إن الشعر الرمزي له دور مهم في مسيرة الأدب العربي المعاصر باعتباره جزءاً من التراث الإنساني العربي، ويسهم في إضاءة التجربة الفنية ومنحها بعداً جمالياً يكسب الأدب نوعاً من الموضوعية والعمق الفني.

ويلاحظ الباحثان أن الشعر الرمزي في شعر إيليا أبو ماضي فيه قيم جديدة ومبتكرة غير القيم المعجمية. ومن أجل ذلك أراد الباحثان الغوص في جماليات الرمز في شعر أبو ماضي لدراسة مكنونات جواهر ما يتعلق بشعره الرمزي. وتبرز أهمية الموضوع في إثراء الأدب العربي العربي من خلال إبداعات الشاعر إيليا أبو ماضي وتفرده، بالإضافة إلى ندرة البحوث التى تناولت موضوع الرمز في شعر أبو ماضي ، اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي. وتحصل الباحثان على عدد من الدراسات السابقة، منها :

- الرمز في شعر إيليا أبو ماضي: ورقة بحثية، د. محمود عبد الباسط عبد الخالق، مجلة كلية التربية، جامعة سرت، ليبيا، العدد الأول، ٢٠٠٢م.
- الرمز عند شعراء الرابطة العلمية القلمية: رسالة ماجستير(غير منشورة)، حامد محمد على حامد، جامعة كسلا، قسم اللغة العربية، ٢٠١٧ م.
- الرمز والأسطورة والصورة الرمزية في ديوان أبو ماضي: ورقة بحثية، سردار أصلاني وآخرون، مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها، العدد ٢١، ٢٠١١م.

وقد اطلع الباحثان على تلك الدراسات، واستفادا منها ولا سيما في منهجية البحث والمراجع المختلفة، وإن هذه الدراسة تتناول في شعر إيليا أبو ماضي جماليات الرمز ومضامينه بصورة أكثر عمقاً، بالإضافة إلى إبراز إبداعات الشاعر من خلال شعره الرمزي. واقتضت طبيعة الدراسة أن تقسم إلى تمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة. جاء التمهيد متضمناً حياة أبو ماضي وثقافته ودواوينه الشعرية. أما المبحث الأول فقد جاء عن نشأة المذهب الرمزي ومفهومه. والمبحث الثاني تناول مفهوم الجماليات في الشعر. أما المبحث الثالث والأخير فقد تناول الرمز في شعر أبو ماضي. وفي خاتمة الدراسة وضعت أهم نتائجها وتوصياتها.

إيليا أبو ماضي، حياته ودواوينه وثقافته

تباينت الآراء حول مولد أبو ماضي والراجح أنه ولد عام 1894م في قرية المحيدثة بلبنان، والتي تجثو عند أقدامها التلال والأودية وأشجار الصنوبر والسنديان المتعالية على السفوح والهضاب (الناعوري، 1977م، 213).

وتعد سيرة أبو ماضي حافلة بالأحداث والتجارب الحياتية والأدبية، فعمل بالتجارة وهو في الخامسة من عمره بصحبة والده ضاهر، ثم التحق بمدرسة القرية وتميز بالنبوغ، ولم تكد تمضي فيها سنتان حتى لاحظ أن بمقدوره تصحيح أخطاء معلمه اللغوية (حاطوم،١٩٩٤م،٤). يقول الدكتور محمد محمود: "ولا نعرف الكثير من طفولته هذه وجل ما رواه عارفوه يومذاك أنه كان تلميذاً ساخراً متهكماً على نفسه وعلى وجهاء قريته وكان يعبر عن سخريته هذه بالزجل الذى يحفظه عن والده ويؤلفه بنفسه (محمود، 2003م، 1). كان أبو ماضي يقول عن جرذ من الحجم الكبير كان يزوره في منزله كل ليلة:

عَـنّـا جُـرذون يَـا أَخْـوان بِيطْلَع قنْطار بِـالـقبّـان
لَمّن يَجي ســـاعـة بـاللـيـلِ يبقى يصــهـل مثل الخيل
كَـانَ عِنّـا مِنْ القَمْحِ كَيْـل رؤَّحـهـم بِـلَـيْـلـة دَخَّـان

(حاطوم، 1994م، 7)

و إذا تمعنا في هذه الأبيات نلحظ المعاني الرمزية التى أتى بها إيليا أبو ماضي وهو في باكورة إنتاجه الشعري، حيث تهكم وسخر من صديقه الذي كان يزوره بالليل.

وفي عام 1912م انتقل أبو ماضي إلى المهجر الشمالي في الولايات المتحدة الأمريكية، وهناك أقام أربع سنوات في مدينة سنسناتي بولاية (أوهايو) يعمل في التجارة مع أخيه مراد، يقول جورج صيدح عن إقامة أبو ماضي في سنسناتي: "إنّ هذه السنوات الأربع التي قضاها بعيداً عن دنيا الأدب، كان لها تأثير على شاعريته، فقد تطورت بسرعة عجيبة، حتى غاب عن قصائده المنظومة في خلالها ذلك الشاعر المقلد (صيدح، 1964م، 242) الذي يقول في ديوانه الأوّل:

بِـيـضٌ تَـرائِـبُـهـا سُـــودٌ ذَوائـبُـهـا زُجٌّ حَـواجِـبُـهـا كُـحـلٌ مـآقِـيـهـا
دُهِشـــتُ حَـتّـى كَـأنّـي لَـم أرَهـا وَكِـدتُ واللهِ أنْـسـى أنْ أُحَـيّـيـهـا"

(أبو ماضي، 1944م، 44)

وأبو ماضي نفسه يقول عندما سئل: هل ألهتكم التجارة عن الشعر؟ "يجيب قائلاً: "كلا، بل ازدادت شاعريتي وتطورت تطوراً عجيباً" (الناعوري، 1966م، 243).

وقد أتاح الاغتراب لأبى ماضي فرصة للاطلاع على بعض الآداب الغربية؛ فتمكن من اللغة الإنجليزية، وعرّب بعض الروايات الأجنبية التى كان ينشرها في مجلة السمير، وكان يطلع على دواوين كبار شعراء العربية وعلى رأسهم المتنبي، وهذا أكسبه بعداً ثقافياً، وله قصيدة تسمى (حكمة المتنبي) في ديوانه (تبر و تراب) منها:

جَلستُ أُناجِي روح أحمدَ في الدُجى ولـلـهِمّ حَـولي كـالـظَّـلام سـدولُ
أفكرُ فِي الدُّنيا و أبحثُ في الورَى وعـيـنيَّ مـا بـيـن الـنُّـجـوم تـجـولُ

(أبو ماضي، 1958م، 11)

وفي أواخر عام 1948م أتيح لأبو ماضي أنْ يعود إلى وطنه الأصلي، لبنان، لفترة قصيرة – قبل أن يرجع إلى مهجره – ليمثل هو والأستاذ حبيب مسعود، رئيس تحرير مجلة "العصبة" في البرازيل، صحافة المهجر في مؤتمر اليونسكو، الذي عقد حينذاك في بيروت، يقول عفيف حاطوم عن زيارة إيليا لموطنه لبنان: "أمّا أسعد لحظة مِن لحظات حياته فقد كانت تلك اللحظة التي وجد نفسه فيها يكحل عينيه برؤية مدينة بيروت، وقد شعر بالحزن الشديد لدى وصوله إلى منزله القديم في (المحيدثة) وهو المنزل الذي أبصر فيه نور الحياة لأول مرة (حاطوم، 1994م، 21). وفي هذه الزيارة وقف أبو ماضي أمام منزله الذي رأى فيه نور الحياة مخاطباً بعزة وكرامة وطنه الحبيب لبنان في قصيدته (وطن النجوم)، التي تغنى بها الفنان السوداني الراحل الأستاذ أحمد المصطفي(1922-1999م)، وهذا يدل على مدى الأثر الثقافي والبعد الاجتماعي، الذي أحدثه الشعر المهجري في نفوس الشعراء والمغنيين في العالم (إبراهيم، 2023م، 58)، فيقول فيها:

وَطَـنُ الـنُّـجُـومِ أنَـا هُـنَـا حَـدّقْ أتـذْكُـر مَـن أنـا ؟
أَنَـا ذَلِـكُ الْـوَلَـدُ الّـذِي قَـدْ كَـانَ مَـوْطِـنُـه هُـنـا

(أبو ماضي، 2010م، 22)

وبعد مضي تسع سنوات على هذه الرحلة المجيدة أدرك الموت الشاعر إيليا أبو ماضي، وكانت وفاته في نيويورك يوم الأحد الثالث والعشرين من نوفمبر عام 1957م، الموافق الثاني مِن جمادي الأولى عام 1377هـ، فحزن العالم لوفاته (خفاجي، 1974م، 146). غادر أبو ماضي هذا العالم الفاني، ولكنّه ترك فيه مجداً شعرياً، لا يقل بحال مِن الأحوال عن المجد الشعري الذي تركه كبار الشعراء الأفذاذ في أدبنا العربي الخالد، إذ يعد أكثر شعراء المهجر إنتاجاً شعرياً.

ولأبو ماضي خمسة دواوين تحمل في طياتها ألواناً شعرية تتجلى فيها الحكمة البالغة والقيم الفاضلة وروائع الشعر الرمزي وهي: تذكار الماضي، طبع في نيويورك على مطابع جريدة "مرآة الغرب" سنة 1919م، وكتب مقدمته جبران خليل جبران جاء فيها: "إيليا أبو ماضي شاعر وفي ديوانه هذا سلالم بين المنظور وغير المنظور، وحبال تربط مظاهر الحياة بخفاياها وكؤوس مملوءة بتلك الخمرة التي إنْ لم ترشفها تظل ظمآن حتى تملّ الآلهة البشر فتغمرهم ثانية بالطوفان" (جبران، 1919م، 2). والديوان الثاني: سمي باسمه (ديوان إيليا أبو ماضي)، وفي عام 1927م أصدر إيليا أبو ماضي ديوانه "الجداول" وهو ثالث دواوينه، الذي طبع في مطبعة "مرآة الغرب" في نيويورك، وكتب مقدمته ميخائيل نعيمة قائلاً فيها: "فبين هذه الجداول ما تنسكب معه روحي مترقرقة، مترنمة، مطمئنة جذلة بنور في عينيها، وجمال في جانبيها؛ مرحة بحرية لا أرصاد عليها ولا قيود، ومدى لا آفاق له ولا حدود"(نعيمة، 1927م، 4). وكرّت الأعوام حتى قاربت العشرين، و"الجداول" تجري، وأبو ماضي لا يرفدها بمعين جديد، حتى ظنّ الناس أنّه نام على أمجاده، إلى أنْ أصدر ديوان "الخمائل" سنة 1946م ليصبح رابع دواوينه، فدعم تليد الشهرة بالطريف؛ وكان لأزهار الخمائل روعة تضاهي روعة الأنغام في "الجداول" (إبراهيم، 2023م، 57). ويجئ ديوانه الخامس، بعنوان "تبر وتراب" وقد عثر عليه أبناؤه بعد وفاته كما يقول محمد خفاجي في كتابه "قصة الأدب المهجري"(خفاجي، 1966م، 171)، وصدر عام 1960م عن مطبعة دار العلم للملايين ببيروت التي تكفلت بطباعته.

وتضافرت عدة عوامل في تكوين ثقافة أبو ماضي، منها ولادته في بيئة قوية خلابة الجمال حيث قضى شطراً من صباه حيث رأى الدوالي تتعرش والعناقيد تتدلى والياسمين يتعرج والورد يفوح، والجمال يختلى بالطبيعة ويزاملها ويخادنها، فانطبعت هذه الأمور جميعاً في ذاكرة الصبي الشاعر ولم تفارقه طوال حياته، ووجدت لها متنفساً في شعره ولاسيما الشعر الرمزي. ومن العوامل كذلك الهجرة والتنقل وذلك أعطاه ثقافة عميقة واسعة متعددة المصادر متنوعة المشارب، فقد أكب منذ نعومة أظافره على المطالعة بشغف، فكان يلتهم كل كتاب يقع بين يديه. وقد أولع بقراءة كتب التراث، واطلع على الأديان وأفاد إفادة كبيرة من الحركة الثقافية الناشطة التي عرفتها مصر في مطلع القرن العشرين (خفاجي، 1966م، 169).

إن هذه العوامل بلا شك أسهمت في تكوين شاعرية أبى ماضي التى اتسمت بالمشاعر والأفكار والأحاسيس والمقدرة الفائقة على تطويع الشعر وترابطه والوصف الدقيق والتغلغل في النفس البشرية؛ والقارئ لشعره يلحظ تطور اللفظة والإشارة للمعنى المقصود وتكيف الصورة الشعرية وفقاً للمعنى المنشود، وتتجلى هذه الابتكارات والمظاهر في شعره الرمزي الذي عبر عن مكنونات النفس البشرية.

المبحث الأول: نشأة المذهب الرَّمزي ومفهومه

نشأ المذهب الرمزي في فرنسا في العقد الثامن من القرن التاسع عشر وامتد إلى الأقطار الأوربية الأخرى ، والرمزية حركة أدبية منظمة استمدت عناصرها من الموسيقى التي تمس أوتار النفس الخفية. ولم تتصل الطريقة الرمزية في الأدب وحده، بل تعدته إلى الفنون الأخرى؛ فظهرت في الرسم في المذاهب المعروفة بالانطباعية، والانطباعية المتأخرة، تلك المذاهب التى تحاول أن تنقل إلى الناظر الدوافع المبهمة التى حركت ريشة الرسام. ولبول فاليري الشاعر الفرنسي قصيدة (المقبرة البحرية) التى نظمها في مقبرة مشرفة على البحر فكانت خطرة فلسفية تأملية يصف بها حالة الكون وذاتية العالم المادي الذي يرجع إليه تراب الموتى، وقد أثارت هذه القصيدة جدلاً شديداً بين النقاد والشعراء والأدباء لما فيها من غموض شامل، وترجمت إلى اللغات الحية، وهذا جزء من ترجمتها لبعض أدبائنا المعاصرين:

إنّها قدسيةٌ مغلقةٌ نارها توقد من غير غذاء
خيّم الصمت على أرجائها وعلى صفحتها رفّ الضياء
سقطت أضواؤها وهاجةً وأثارت فيّ أسباب الطرب
وظلال كالوجى محدودةٌ وقيود رصّعوها بالذهب

(هنداوي،1933م، 2)

وقد كتب الدكتور طه حسين عن هذه القصيدة قائلاً: "أنفق النقاد الفرنسيون أعواماً يدرسون هذه القصيدة ويحللونها ويتلمسون معانيها وأغراضها، ومظاهر الحسن ودخائله فيها، فرفعها بعضهم إلى أرقى منازل الآيات الشعرية الخالدة، ونزل بها بعضهم إلى حضيض السخف الذي لا ينبغي الوقوف عنده (هنداوي،1933م، 2).

إن قصيدة (المقبرة البحرية) الرمزية التي لا تزيد على أربعة وأربعين بيتاً، فيها زخم من المعاني المستترة التي أخفاها الشاعر وعبر عنها بأسلوب جزل يحمل في طياته الكثير من المعاني. فمدح صاحب المقبرة وجعل له القداسة وحزن على صمته، مبيناً علامات الضياء على أرجاء القبر؛ ووصف محدودية الظلال وأنها مقيدة على القبر المرصع بالذهب، وفي ذلك عمق الفكرة ونضارة التجربة. إضافة على ذلك أن القصيدة وصل أمرها إلى جامعة السوربون حين اتخذها أستاذ الأدب (جوستاف كوهين) موضوعاً لدرسه في تفسير النصوص الأدبية(هنداوي،1933م، 2).

والمذهب الرمزي جذب إليه أكثر الشعراء الموهوبين، وثار على التقاليد الشعرية والمذاهب الأدبية، وأعلن أن العالم ليس إلا سوى مجموعة طلاسم، ودنيا تخلفها المخيلة الجبارة لا الملاحظة العابرة. وبلاشك فهذه محاولة مبتكرة للإفصاح عن العواطف المكبوتة في أعماق النفس الإنسانية، مع الاستعانة بجرس الألفاظ وإيقاع الوزن وتركيب الجمل؛ فهو أدب انطباعي يقتضي التأمل العميق. لفهم موضوعه وتذوقه، والفناء في فكرة الشاعر وهيامه بالجمال والتصرف والاحتفال بتجارب الفعل الباطن والميل إلى الغموض والإبهام والتجارب الموضوعية الموزعة بين الحلم واليقظة. وعكف الرمزيون على الغموض في أعماق النفس البشرية ومعالجة الحياة الباطنية للإنسان، وعملهم قائم على التوافق بين المادة المحسوسة والفكرة المتخيلة، واهتموا بتسجيل المشاعر والتأملات في الحياة والكون (خفاجي، 1966م، 166).

اختلف مفهوم الناس في مفهوم الرمزية فيرى البعض أن كل أدب غامض هو أدب رمزي، وزعم آخرون أن الرمز يعد داءً تفشى في الإنتاج الشعرى فعطل الوضوح، وقال آخرون: إن هذه الطريقة التعبيرية تعد نهجاً فاسداً يتقهقر معه التعبير السائغ للخلق الفني فيهوى به إلى درجة السخف. إلا أنّ الباحثين ينظران إلى أن الرمزية هي محاولة من الأديب للإفصاح عن العواطف المكبوتة في أعماق النفس البشرية.وإيحاء صدر من العقل البشري إلى القارئ، ويستطيع القارئ فهم الأديب وفى ذلك إبداع أدبي.

وقد تأثرت الشعوب العربية بالشعر الرمزي الفرنسي، ثم تهيأ النقاد العرب ووصفوا المعايير الجمالية فظهرت الكتب التي تتلمس شذرات الرمز في الأدب العربي قديمه وحديثه، فقد وضع دكتور درويش الجندي كتاب (الرمزية في الأدب العربي) عام ١٩٥٨م، وبذلك فتح أبواب المدرسة التحليلية للمضمون الرمزي (نشاوي، 1985م، 458).

و تردد صدى الشعر الرمزي عند الشعراء المعاصرين أمثال: أبو شادي، وحسن كامل الصيرفي، وإيليا أبو ماضي، والدكتور بشير فارس رائد الشعر الرمزي بين المعاصرين، وغيرهم. وقد عرف النقاد العرب القدامى فن الرمزية وألموا ببعض خصائصها، فكان الصابي الكاتب المشهور يقول: "أفخر الشعر ما غمض عنك، فلم يعطك إلا بعد مماطلة منه"، وذكر الجاحظ في كتابه (البيان والتبيين) الوضوح والغموض كثيراً، فقد يشيد بالوضوح ويؤثره (الجاحظ، 1991م، 21)، وتحدث عبد القاهر الجرجاني في كتابه (أسرار البلاغة) عن الغموض في الشعر وقسمه إلى ما سببه الخطأ في الأسلوب ونظم الكلام أو طريقة الفكرة وآدائها فرفضه، وإلى سبب دقة الفكرة وعمقها فقبله وأشاد به (خفاجي، 1966م، 175).

وتجلت الرمزية في الشعر العربي قديماً، واستطاع الشعراء أن يكسبوا اللغة الشعرية تراكيب جديدة وصوراً رمزية رائعة وعبروا عن وجدانياتهم بشعر رصين جميل، واهتموا بالواقع. ومن خلال ذلك تبين للباحثين أن الشعراء العرب لجأوا إلى الشعر الرمزي لأن الشعر في نظرهم لمحٌ، وأن في الذات الإنسانية ناحية

باطنية لم يعن بها الأدب عناية مباشرة، وفيها نواح غامضة. وأن الشعر الغامض يجعل المتذوق له يدقق ويفحص المعاني وجوهرها، وهو يصل إلى كل الناس بإسلوب خفي، ويعالج قضاياهم الاجتماعية، والنفسية والوطنية والوجدانية.

والشاعر الرمزي متيقظ الجوارح يغرق في الطبيعة فيصبح مصوراً تلتقط عينه الألوان والظلال والأشكال؛ بل اللونيات الدقيقة ثم يترجمها بمختلف صفاتها ودرجاتها ودلالاتها وينتبه لما يعنيه الملمس والشكل وما تؤديه الحركة، والرمزية تنسجم مع شعور الشعراء وهم يرون أن اللغة إذا شاخت هرمت، وينبغي أن يعاد النظر فيها (خفاجي، 1966م، 166). ويُعدُّ الرمز من أكثر الوسائل الفنية استخدامًا في الشعر الحديث بشكل عام، فإذا كانت اللغة الشعرية هي لغة المجاز، فإنها أيضًا لغة الرمز. ذلك لأن مساحة الرمز في الشعر واسعة وآفاقه رحبة وطاقته الإيحائية كثيفة (محمد، 2018م، 1). فالرمزية إذن يمكن أن يقال عنها أخيرًا: إنها محاولة لاختراق ما وراء الواقع وصولًا إلى عالم من الأفكار، سواء كانت أفكاراً تعتمل داخل الشاعر بما فيها عواطفه، أو أفكار بالمعنى الأفلاطوني بما تشتمل عليه من عالم مثالي يتوق إليه الإنسان (محمد، 2018، 2).

المبحث الثاني: مفهوم الجماليات في الشِّعر

وردت لفظة الجمال في لسان العرب مصدراً للجميل فعلها جَمُلَ أي حسن، فالجمال هو الحسن. وجمل الشيء جمعه بعد تفرقه. وأجمل: اعتدل، واستقام. والجمال الحسن في الخَلق والخُلق (ابن منظور، 1988م، مادة: جمل).

والإنسان بطبيعته يميل إلى وصف ما يعجبه بأنه جميل، ومن الصعب أن تحدد ما هو جميل وأن تقدم تعريفاً للجمال، فقد يرى البدوي المتنقل جمالاً في الصحراء لا يراه ابن البادية، وقد يرى البدائي في الوشم والألوان زينة لا يراها الأوربي، فيختلف الذوق حتى بين أبناء الحضارة الواحدة وذلك بحسب ثقافتهم. وللجمال أنواعٌ شتى من أهمها: جمال الألوان والأصوات والأشكال التى يشغف بها صاحب الحس المرهف من الناس؛ فكم تغنى الشعراء بجمال السماء والكواكب والبحار وبجمال المحبوب وغير ذلك.

ومن التعريفات العامة التي ظهرت في علم الجمال تعريف الفيلسوف (هوبرت ريد) الذي استند على أساس مادي حسي مفاده: "الجمال وحدة للعلاقات الشكلية بين الأشياء التي تدركها حواسنا"(محمد، 2018م، 3)، وقد أكد أن الإحساس بالجمال يتسم بالتقلب عبر الزمان والمكان، كما أن الإحساس بالجمال هو القاعدة الأساسية التي يقوم عليها النشاط الفني.

والفنّ عموماً جوهرة جمالية من نوع معين فهو لا يدرك بالحسّ فقط إنّما بالحدس، فهو خبرة جمالية لا يمكن فهم حقيقته بمعزل عن إدراك طبيعة الخبرة الجمالية ذاتها وفهمها، وعليه فهو حدس وحسّ وعقل متفكّر وخبرة جمالية متّحدة بإدراك ومنها صيغ الجمال بطبعه. وبما أنّ الشعر جزء لا يتجزأ من الفن ورافد مهم من روافده فقد ألهم الشاعر هذا الجمال من خلال نظرته الحساسة في سبر أغوار نفسيته وما تنطوي عليه الحياة وما يترشح منها نبعاً وفيضاً على الطبيعة وحدساً راقياً وإلهاماً جميلاً. فالشعر جزء من أصل الجمال، وعندما ينتج الشاعر الجمال في شعره يكون قد اكتسب حالة فنية وإنسانية مبتعدة عن كل مشاكل العالم و تحقق له توازناً كبيراً بين سعة الحياة بما فيها من مفردات وتجارب وقدرات وما درته الطبيعة من جمال في ذاتها (الكيلاني، 2021م، 6).

فالشعر هو الكلمة الجميلة التي تنمو ضمن مفاصل الحياة، يقول فالح الكيلاني: "البحث عن إيجاد جمالية الشعر من الأمور الصعبة لأن مكمن الجمال في الشعر ليس جزءاً محدداً في ماهيّته بل في كلّيّته؛ لأنّ كلّاً من الجمال والكينونة الشعرية ربما أمثلهما بمرآة قد تعكس مسار الآخر ويتبادل به وجود الآخر في سرية تامة وكينونة فريدة. فإذا قمنا بتحليل قصيدة شعرية – أية قصيدة – وجدنا الصور الشعرية والحدث الواقع في ظل الصياغة والوزن والقافية والأخيلة الواسعة والصور الشعرية الخلابة وبقدر وجود هذه الأمور في القصيدة يتمثل أو يظهر جلياً وقد نجد عنصر الجمال مخفياً غير ظاهر" (الكيلاني، 2021م، 6). ولهذا فإن بعض الشعراء ممن يتمكن من قلب أحوال زمانه وله المقدرة في التأثير الكبير من خلال قصيدة واحدة أو بيت شعري واحد للوصول لهذا التأثير القوي من خلال الإبداع والصياغة الحدسية. وعليه فإنّ ما يقف وراء هذا الشاعر دائماً في رحلة الإبداع هو إمكانية التأثير وشدته وتعدّ المتعة الجمالية وسيلة الشعر في الوصول إلى الغاية المرجوة فجمال القصيدة في غاية الشعر وطموحه إلى غاية الجمال هو أحد مسبّبات تكوين هذا الجمال في الوجود ولهذا فإنّ هذه المسببات قد تعدّ من وسائل غرس الجمال الكبرى في الصورة الشعرية للقصيدة.

والجمال الشعري يقدم أو يثبت صلات لكل ما هو موجود من أمور ربما تراها نفس الشاعر وعينه دون سواه فيكون شعره صوت الحياة الصافية وسرها، بحيث تكون له القدرة على التقاط أو بعث اهتزازاته الكامنة في أعماقه وهذه الاهتزازات إنّما هي رعشة لخفقات قلبية أو نفسية تصل إلى مسامع مصغية ونفوس متلهفة و أفئدة متشوقة لتصل الى جوهر الحياة فيكون الشاعر قد اشترى فيها حريته الأبدية وما تسمو إليه نفسه الأبية من قيم عليا طالما ظل يمنّي نفسه بالوصول إليها فيفرّغ شحناته الشعرية المنبثقة من نزعات نفسه فيها في جمالية شعرية خلّاقة (الكيلاني، 2021م، 7).

إنّ الحس الجمالي هو الحكم الفصل في الكشف عن الإبداع الشعرى؛ فهو جوهر ما يريد المبدع

تحقيقه في شعره، فالشاعر المبدع هو الذي يملك أقصى درجات الحساسية الجمالية في تشكليل نصه، فهو فنان بما تتسم به مخيلته في سعة معهودة، وهو الأكثر قدرة على العيش بصورة دائمة على كثافة اللحظة الشعرية وضغوطاتها التى تتحول وتتغير باستمرار، فالشعور المستمر الذي يميز به الفنان الأصيل في حياته هو نتاج تحرك حواسه وعقله كجهاز استقبال بالغ الدقة للرسائل حتى في الأوقات التى يبدو فيها الفنان عديم النشاط (مطر، 1919م، 41). ولا شك أن القيمة الجمالية في الشعر تختلف من قصيدة إلى أخرى ومن صورة إلى أخرى كما ذكرنا، وهذا يعنى تنوع القيم الجمالية وتغيرها، والكلمة في النص الشعري لها دلالاتها الجمالية، وقيمة الكلمة سواء أكانت اسماً أو فعلاً أو حرفاً تتجلى من خلال أسلوب تناولها وتعكس شعوراً داخلياً وجدانياً، وعلى الشاعر اختيار الكلمة التي يمكنها إحداث التناغم والانسجام بين أجزاء النص الشعرى بحيث تتحول الكلمة إلى دلالة تحرك المعنى وتقويه (2004م، 72).

من هذا كلّه تتضح حقيقة واحدة هي أن الشعر في جوهره خبرة إنسانية من نوع معين وموهبة كامنة في النفس، بل هي خبرة جمالية عالية الحدس. وقد تفهم هذه الحقيقة العظيمة من خلال فهم أسس طبيعة الجمال ومساراته وطموح نفس الشاعر للوصول إليه والالتصاق به بحيث تبقى نفسيته متعانقة معه في نتاجه الشعري وتكون جزءاً من معاناته وما يعتمل في نفسه فينهمر شعره خالصاً جميلاً سائغا للشاربين(الكيلاني، 2021م، 8).

المبحث الثالث: الرَّمز في شعر إيليا أبو ماضي

إنّ الشعر المهجريّ يمثل الشعور العميق الدافق؛ فتسمع فيه أنغام السواقي والشحارير، وحفيف أجنحة فراشات الربيع؛ فهو صورة من ألحان القلوب الندية، لذا تميز شعرهم بالرقة والجمال والموضوعية، واتخذوا الطبيعة ملاذاً لهم للتعبير عن دواخلهم فأصبحت رمزاً للشقاء والعذاب، كالرياح والغيوم والمطر والليل، وصوروا ذلك في شعر رصين يلفت انتباه القارئ لجماله وروعته. ويود الباحثان أن يتناولا أحد أعلام الشعر المهجريّ، ألا وهو الشاعر (إيليا أبو ماضي) ليبيّنا شاعريته الفذة، وتفرده الجمالي في شعر الرمز.

ويعد إيليا أبو ماضي من أكثر الشعراء المهاجرين استخداماً للرمز، وقد دلل على ذلك في كثير من قصائده ذات الطابع الرمزي، وهذا يكشف بجلاء سعة ثقافته، وتجربته الشعرية المتفردة.

وإذا تتبعنا شعر أبو ماضي نجد أن بعض قصائده الرمزية تعتمد على عنصر قصصي مرتبة ومتسلسلة، فهو ينتقل من فكرة إلى فكرة بكل إحساس و شعور نفسي حريصاً على الوحدة العضوية للنص؛ فهو يقصد إثارة عنصر المفاجأة رغبة في تقوية جانب الإيحاء، فالصور المختلفة وتقريبها إلى الذهن تخلق حالة نفسية خاصة، تتولد من تراسل المشاعر المختلفة وتثير عالماً نفسياً مجهولاً لا يمكن إلقاء الضوء عليه

إلا عن طريق الإيحاء وتراسل الحواس والمشاعر والصور. وبهذا استطاعت لغته أن تدل على أعمق الشعر في خبايا النفس، ومن ذلك قصيدته (الطلاسم) التي تتوالى أبياتها هكذا:

جئتُ لا أعلم من أين ، ولكنى أتيتُ

ولقد أبصرتُ قدامِي طريقاً فمشيتُ

وسأبقى ماشياً إن شئت هذا أم أبيتُ

كيف جئتُ ؟ كيف أبصرتُ طريقي؟

لستُ أدْري

والقصيدة مطولة بحيث تشغل مساحة أربعين صفحة في ديوانه الجداول، وتتكون من نحو ثلاثمائة وأربعين بيتاً (سطراً)، وهي مجموعة تأملات متطلعة إلى البحث عن الحقيقة، تنتهي دائماً بعبارة (لست أدرى). وأسئلته جميعها من نوع (تجاهل العارف) كما زعم عيسى الناعورى في كتابه (أدب المهجر)، (الناعوري، 1977م، 281). والقارئ لهذه القصيدة يحس بلغة عفوية بسيطة وأسلوب سهل، فنجده يلتقط المعاني في إطار شعري يعتمد على الحوار والتقرير.

وقصيدة (الطلاسم) مفعمة بالحيوية والنقد والشك في كل شيء، وأول ما يتبادر إلى الذهن هو عنوانها المثير والذي يعني اللغز الذي يصعب حله أو الإجابة عنه، وتتوزع القصيدة على سبعة أقسام هي: المقدمة، البحر، في الدير، بين المقابر، القصر والكوخ، الفكر، صراع وعراك (مكي، 2010م، 3)، وما يميزها أسلوبها الحواري الممتع، وكأنه حوار بين الشاعر وطرف آخر، الطبيعة تارة والإله تارة أخرى أو شخص في حالة ثالثة.

والقصيدة الرمزية عند أبى ماضي مليئة بالمفاجآت الإيحائية، انظر ذلك في قصيدته (الضفادع والنجوم)، فهي رمز للإنسان الثرثار الجاهل الذي لا يعرف قدر نفسه، ويتطاول على أقدار العظماء، يقول فيها:

صَـــاحتِ الضّــفدعُ لمّا شـــاهدتْ حَـوْلـهَـا في المـاءِ أظلالَ الـنُّـجـومْ

يـا رفـاقِي! يـا جـنـودي! احشـــدُوا عـبر الأعـداء في الـلَّـيـل الـتُّـخـومْ

فـاطـردوهـم واطـردوا الـلَّـيـل مـعـاً إنَّـــه مـــثـــلـــهـــم بـــاغٍ أثـــيـــمْ
زَعـقـةٌ سَـــار صَـــداهـا في الـدُّجى فـإذا الشَّـــطُّ شُـــخـوص وجُســـومْ
في أديـمِ المَـاءِ مِـن أصـــواتِـهـا رعـدةُ الـحـمَّى وفي الـلّـيـلِ وُجـومْ

(أبو ماضي، 1970م، 21)

وإذا انتقلنا مع أبو ماضي إلى قصيدته (التينةُ الحمقاءُ)، نجدها ترمز إلى الإنسان البخيل الشحيح البخيل الذي يموت محروماً سليباً، يقول فيها:

وتـيـنـةٍ غضَّـــة الأفـنـانِ بـاســـقـةٍ قـالـتْ لأترابـهـا والصَّـيـفُ يُحتضَـرُ
بِئسَ القَضـــاءُ الّـذى فِي الأرضِ أوجَـدنِي عِـنْـدي الجَـمـالُ وغَـيري عِـنْـده النَّـظرُ
لَأحـبِسَـــنَّ عَـلى نـفســي عَـوارفَـهـا فـلا يَـبـيـنُ لـهَـا فِي غَـيْـرهـا أثَـرُ
كـم ذا أكلِّـف نـفســي فـوق طـاقـتـهـا ولـيـس لي بـل لـغـيري الـفئ والـثَّـمـرُ

(أبو ماضي، 1970م، 21)

فهذه التينة الحمقاء بكل ما تتمتع به من النعم، فقد طغت وامتنعت عن بذل ذات يدها، فركدت في عروقها دماء الحياة ولم تعد ترى أي مبرر لوجودها. فالمعاني والصور والأخيلة في القصيدة لا تنمُ عن معاناة التينة، ولكنها تخدم أغراض الشاعر في الوعظ والإرشاد القائم على نشر السعادة بين الموجودات؛ وعلى كل شخص أن يقوم بواجبه الذي قدرته له الحياة دون تقديم أي عذر في التقصير في مهمته، ودون الوقوع في الخمول والكسل. فالحياة في نظر أبو ماضي تؤكد الفهم المتبادل بين الموجودات، فهناك أناس يحسدون بعضهم على الخيرات إلا أنهم لا يكفون عن العمل لمجرد هذه النزعة اللعينة؛ فأبو ماضي مِن خلال هذا الأسلوب الرمزي الجميل، يدعو الإنسان للبذل والعطاء، وأنْ يكون ذا فائدة وقيمة في مجتمعه، فإذا ما خلا مِن فائدة وقيمة مفيدة كان الزوال به أجدر والفناء به أحق، يقول في القصيدة نفسها:

وَلَمْ يطِقْ صَـــاحِـبُ الْبُسْـــتَـانِ رُؤيَتَهـا فـاجْـتَـثَّهـا فـهَـوَتْ فِي الـنَّـارِ تَسْـــتَـعِـرُ
مِنْ لَيْسَ يَسْـخُو بِمَـا تَسْـخُو الحَيَاة بِهِ فـإنّـهُ أَحْـمَـقٌ بـالـحِـرْصِ يَـنْـتَـحِـرُ

(أبو ماضي، 1970م، 22)

إنّ أبيات القصيدة عبارة عن قصة نقلت عن السيد المسيح (عليه السلام)، وترتكز على الطبيعة. وإن التينة شجرة ورد ذكرها في الإنجيل مراراً، فقد تضمن الإنجيل فقرة تقول: "كل شجرة لا تنتج ثمرا جيدا تقطع ويلقى بها في النار " (نازك الملائكة، 1979م، 45)، واقتلاع صاحب الحقل للشجرة ورميها في النار هي التفاتة من الشاعر أبو ماضي إلى تلك الفقرة التي يشار إليها في الإنجيل؛ وكثيراً ما ترد هذه الفكرة في أكثر من مكان في دواوينه الشعرية ولا سيما ديوان (الجداول)، فمثلاً في قصيدة "الفاتحة" نلاحظ ذلك:

كُلُّ نَجمٍ لا اهتداء به لا أبالي لاح أو غَرُبا
كلُّ نَهرٍ لا ارتواء به لا أبالي سال أو نَضَبا

(أبو ماضي، 1970م، 47)

ونلاحظ أن أبو ماضي من خلال قصائده الرمزية، يستخدم الأسلوب الحواري في شعره القصصي وغير القصصي، ويكون الحوار عادة عنده بين شخصين أو أكثر حسب موضوع القصيدة، وكثيراً ما يجرد الشاعر مِن نفسه شخصية يحاورها ويكلمها؛ وقد عالج أكثر موضوعاته الإنسانية بطريق الحوار القصصي الجميل، ونظم كثيراً مِن القصص الشعرية على لسان: الحيوان والنبات والجماد، وكانت تلك المنظومات لا تحيد عن الغرض الإنساني فيما ترمز إليه مِن أفكار، وما تعالجه مِن موضوعات، وفي قصيدته (التينة الحمقاء) وغيرها خير مثال لذلك.

ويحاول أبو ماضي التعبير عن حكمته بقصص رمزية تتكرر في إنتاجه الشعري، فكم من رجل في هذه الدنيا لم يقنع بنعم الله تعالى الكثيرة التى أسبغها عليه، وألح في الطمع حتى أصابه ما أصاب ذلك (الغدير)حيث قال:

قالَ الغديرُ لنفسهِ يا ليتنِى نهرٌ كَبيرْ
مِثلُ الفُراتِ العَذبِ أو كالنِّيلِ ذى الفيض الغزيرْ
تجْرى السفائنُ موقرا تٍ فيه بالرِّزقِ الوفيرْ
وانسابَ نحو النَّهرِ لا يلوى على المرجِ النَّضيرْ
حتَّى إذا ما جاءه غلب الهدير على الخريرْ

(أبو ماضي، 1970م، 138)

وغير بعيد عن هذا حكاية (الحجر الصغير) الذي غادر ذات يومٍ مكانه في السد الكبير، وهو يقول بصوت منخفض يشبه الهمس:

لا رخامٌ أنا فأنحتُ تمثـ ـــالاً ولا صخرةٌ تكونُ بناءَ
لستُ أرضاً فأرشفُ الماءَ أو ما ءً فأروي الحدائقَ الغنَّاءَ
لستُ درّاً تنافسُ الغادة الحسـ ـــناءُ فيه المليحةَ الحسناءَ
حجرٌ أغبرٌ أنَا وحقيرٌ لا جمال لا حكمة لا مضاءَ
فلأغادرْ هذا الوجود وأمضي بسلامٍ ، لأنّي كرهتُ البقاءَ
وهوى من مكانه وهو يشكو الـ أرضَ والشُّهبَ والدُّجى والسَّماءَ
فتحَ الفجرُ جفنَه فإذا الطُّو فان يغشَى المدينةَ البيضاءَ

فهذا الحجر بالرغم من صغره تسبب بحمقه وسوء تقديره لقيمته، بانهيار السد وغرق المدينة؛ مما يعنى أن لكل إنسان مهما صغر شأنه دوراً في المنظومة الاجتماعية، وواجباً عليه أن يقوم به لتتكامل جهود الجميع في تأمين سلامة المجتمع وتقدمه وتطوره والمحافظة عليه. ولأبو ماضي أسلوب هامس رهيف يشع برقته الغنائية وبساطته التي تمثل عماد الجمال في شعره وفنه الأدبي. وقد سمى الدكتور مندور أدب المهجر (بالأدب المهموس) إذ: "الهمس في الشعر ليس معناه الضعف، فالشاعر القوي هو الذي يهمس فتحس صوته خارجاً مِن أعماق نفسه في نغمات حارة" (مندور، 2020م، 59).

نلاحظ أنّ شعر أبو ماضي الرمزي يتسم بدقة الحس، وعمق الشعور، وخصوبة الخيال، وحرية التفكير، وشبوب العاطفة، وجدة الصور، وجمال التصوير، فالتصوير البارع فن أبو ماضي الذي استوحاه مِن إحساسه المرهف وعمق نظرته إلى الحياة، واستغراق شعوره في الطبيعة، ومِن البيئة التي عاش فيها، ثُمَّ مما استوعبه مِن الآداب الأجنبية، فها هو في قصيدته (المساء)، حيث يرسم لنا صورة رائعة يستمد مشاهدها الحيّة مِن الطبيعة، تحس بروعة التصوير فيها، فيقول:

السُّحْبُ تَرْكُضُ فِي الفَضَاء الرَّحْبِ رَكْضَ الخَائِفِينْ
والشَّمْسُ تَبْدُو خَلْفَهَا صَفْرَاءَ عَاصِبةَ الجَبِين
(أبو ماضي، 2008م، 572)

ففي قصيدة (المساء) يخاطب فتاة سماها (سلمى)، وسلمى هنا رمز للإنسانية كلها، لذا نجده لم

يشرح مشاعره وعواطفه، بل ألقى عليها مواعظ وإرشادات طويلة، يقول:

لا فرقَ عند اللَّيلِ بيْن النَّهرِوالمستنقعِ
يَخفي ابتسَاماتَ الطَّروبِ كأدمع المتوجِّع
إنَّ الجمال يغيبُ مثلَ القبحِ تَحت البرقع
لَكنْ لمَاذا تَجزعين على النَّهاروللدُّجى
أحلامه ورغائبه
وسماؤه وكواكبه

وتتجلى أروع مظاهر الرمزية في شعر أبو ماضي، عندما رأى زهرة أسيرة في إناء فلفتت انتباهه فبكاها داعياً إلى إطلاق سراحها وإعادتها إلى موطنها الطبيعي، فيقول:

لَعمْري مَا حُزنِى لمالٍ فقدتُه ولا خَانَ عَهْدِى فِي الحياةِ حَبيبُ
ولكنّى أبكِى وأندبُ زهرةً جناها ولوعٌ بالزُّهورِ طروبُ
وأكثرُ حزنِي أن تظُنّي بني الوَرى سَواء وهُم مِثل النَّباتِ ضَروبُ

(أبو ماضي، 2008م، 521)

فحنينه إلى هذه الزهرة المظلومة، وبالرغم مما تجده من اهتمام ورعاية، رآها تزداد ذبولاً لأنها بعيدة عن موطنها الأصلي، وهذا الحنين والبكاء ما هو إلا حنين الشاعر نفسه إلى وطنه الأم، فقد أفاد من مظاهر الطبيعة للتعبير عن أفكاره ، ولدعوة الناس إلى التمثل بمظاهر الخير والعطاء. ويدعو أبو ماضي إلى المساواة والوحدة بين أبناء البشر إزاء مواجهة إشكالات الحياة ويؤكد نظرة الكون الواحدة إليهم. ويرى أن البشر متساوون في كل ما هو جوهري وأساسي، يختلفون بمظاهر تافهة لا تستحق أن تدفع بصاحبها إلى الخيلاء والكبر. يقول في قالب شعري رمزي أصيل:

نَسمى الطِّينُ ساعة أنّه طيـ نٌ حَقيرٌ فَصَال تيهاً وعربدْ
وكَسَا الخَزُّ جسمَه فَتَباهَى وحَوى المالَ كيسُه فتمرَّدْ
ولِقلبِي كَما لِقلبكَ أحلا مٌ حسانٌ فإنَّه غَير جَلْمدْ

(أبو ماضي، 2008م، 372)

وفي قصيدة (العنقاء) نلاحظ أن الشاعر بدأ قصيدته بالرمز للسعادة، ثم بنى عليها القصيدة باحثاً عنها، فهي مطمعه وهدفه لجمالها. و قد رمز الشاعر للسعادة بالعنقاء للتشابه بينهما (أبو غمجة، 2017م، 126)، يقول أبو ماضي فيها:

أنَـا لَسْـــتُ بِـالْـعَـنْـقَـاءِ أَوْلَ مَـوْلَـعٍ هِيَ مَطْمَعُ الـدُّنَيـا كَمَـا هِيَ مَطْمَعِي
فَـاقْصُـــصْ عَليَّ إِذَا عَرَفْـتَ حَـدِيْثَهَـا وَاسْـــكُنْ إِذَا حَـدَّثْـتَ عَنْهَـا وَاخْشَـــعِ
أَلَمَحْتَهَـا فِي صُـــورَةٍ ؟ أَشَـــهَـدْتَهَـا فِي حَـالَـةٍ ؟ أَريـتَهَـا فِي مَـوْضِـــعٍ ؟
إِنِّـي لَـذُو نَـفْـسٍ تَـهِـيـمُ أو إِنَّـهـا لَـجَـمِـيـلَـةٌ فَـوقَ الْـجَـمَـالِ الْأَبْـدَعِ

(أبو ماضي، 1970م، 10)

ويستمر الشاعر في البحث عن السعادة، والشوق إليها حتى شبهها بالصوت، ثم يصر في البحث عنها في الفجر وفي الدجى ، وفي السماء وبين النجوم ، يقول.

وَيَـزِيـدُ فِي شَـــوقِي إِلَـيَـهـا أَنَّـهَـا كَـالصَّـــوتِ لَـمْ يُسْـــفِـرْ وَلَـمْ يَـتَـقَـنَّـعِ
فَتَّشْـــتُ جيـبَ الفَجْرِ عَنْهَـا وَالـدُّجَى وَمَـدَدْتُ حَـتَّى لِلْكَـواكـبِ إِصْـــبَعِي
فَـإِذَا هُـمَـا مُـتَـحـيِّـرانِ كِـلاَهُـمَـا فِي عَـاشَـــقٍ مُـتَـحَـيِّـرٍ مُـتَـضَـــعْضِـــعِ
وإِذَا الـنُّـجُـومُ لِـعِـلْـمِـهَـا أَوْ جَـهْـلِـهَـا مُـتَـرَجْـرِجَـاتٍ فِي الْـفَـضَـــاءِ الْأَوْسَـــعِ

(أبو ماضي، 1970م، 11)

وهكذا نجد أنّ أبو ماضي له القدرة الفائقة في الوصف والمقارنات، فأتى بصور شعرية أحدثت انفعالاً وجدانياً في قصائده الرمزية معتمدة على السياقات الجميلة المشرقة، والإيحاءات والخيال الواسع الذي ينم عن بصيرة وإبداع رصين. وقد وظف أبو ماضي دلالاته الرمزية وعبر عنها بأسلوب جزل وقيم ومشاعر إنسانية، تسهم في معالجة كثير من القضايا الاجتماعية.

خاتمة:

من خلال دراسة الرمز في شعر إيليا أبو ماضي توصيل الباحثان إلى جملة من النتائج والتوصيات،

منها:

1/ استقى أبو ماضي مادته الشعرية - ولاسيما شعره الرمزي - من منابعها الحقيقية والأصيلة، من الحياة، والطبيعة، والوجدان.
2/ مزج أبو ماضي في شعره الرمزي بين الخيال والفكر والعاطفة، في صورة فنية متكاملة تجذب انتباه القارئ.
3/ نظر أبو ماضي إلى الحياة العامة فالتقط الأشياء الصغيرة العابرة وعبر عنها تعبيراً جميلاً صادقاً، يضفي عليها الحيوية، مستفيداً من كنوزه الإنسانية وثقافته الأجنبية التى تزود منها.
4/ أحدث أبو ماضي في شعره الرمزي تجديداً في الكلمة الشعرية و جعلها تتسع لمضامين الحياة الاجتماعية والفكرية والنفسية بأسلوب بسيط واضح.
5/ تأثر الشاعر أبو ماضي بكتاب الإنجيل المقدس، إذ تأثر بالترجمة العربية للكتاب وخاصة في ديوانه الجداول، فقد أخذ من الإنجيل أسلوبه في عرض القصص القصيرة الرمزية والأمثال كما في قصيدة (الحجر الصغير)، وقصيدة (الضفادع والنجوم)، و (التينة الحمقاء) و (والغدير الطموح) وهي جميعها قصصاً شعرية قصيرة رمزية المغزى.
6/ يعد أبو ماضي نقطة مهمة في تراثنا الشعري ومحطة من محطات التغيير في فهم دور الشعر ورسالة الشاعر وتقنيات التعبير الشعرى، وقد برز ذلك من خلال شعره الرمزي.
7/ إن دراسة الشعر الرمزي عند إيليا أبو ماضي تعطى القارئ العربي أوسع صورة وأشمل فكرة عن شعراء المهجر وعن أدبهم.

التوصيات:

يوصي الباحثان بالآتي:

1/ بمقارنة الشعر الرمزي عند إيليا أبو ماضي مع شاعر آخر من شعراء المهجر.
2/ الاهتمام بشعر إيليا أبو ماضي في المدارس والجامعات والمنتديات الأدبية والاستفادة منه لغرس القيم الفاضلة.

المصادروالمراجع

- إبراهيم، صلاح التوم، **النزعة الإنسانية في أدب المهجر**، دار أرتيريا، الخرطوم، السودان، ط1، 2023م.
- أبو ماضي، إيليا ضاهر. **ديوان الجداول**، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1970م.
- الأشتر، د. عبد الكريم – **إيليا أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة**،ط1، مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود، الكويت، 2008م.
- الثعالبي، أبو منصور، **فقه اللغة**، المكتبة العصرية، بيروت، 2001م.
- الجاحظ، عمرو بن العلاء، **البيان والتبيين**، مكتبة دار الهلال، بيروت، لبنان، 1991م.
- حاطوم، عفيف، **إيليا أبو ماضي(حياته، شعره، نثره)**، دار الثقافة، بيروت، لبنان ط1، 1994م.
- حمود، محمد، **إيليا أبو ماضي شاعر الغربة والحنين**، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 2003م.
- خفاجي، محمد عبد المنعم:
  - **مدارس النقد الأدبي الحديث** ، الدار المصرية اللبنانية، 1966م.
  - **قصة الأدب المهجري**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1973م.

- ضيف، شوقي، **تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول**، ط7، دار المعارف، القاهرة، 1955م.
- محمد، على فتح الله، **تطور أنماط الرمز في الشعر العربي**، مجلة كلمة، العدد101، 2018م.
- مطر، أميرة حلمي ، **مقدمة في علم الجمال وفلسفة الفن**، دار المعارف، القاهرة، 2019م.
- مكي، يوسف، **بعد ثمانين عاما على قصيدة الطلاسم لإيليا أبو ماضي**، مجلة الوسط، العدد 2953، دار الوسط للنشر والتوزيع، البحرين، 2010م.
- مندور، محمد، **في الميزان الجديد**، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ط1، 2020م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب** ، عالم، دار الجيل، بيروت، 1988م.
- نازك الملائكة، نازك صادق. **سيكولوجية الشعر ومقالات أخرى**، ، بيروت، ط1، 1979م.
- الناعوري، عيسى، **أدب المهجر**، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3، 1966م.
- نشاوي، نسيب ، **المدخل إلى دراسات المدارس الأدبية في الشعر العربي**، 1985م.
- هنداوي، محمد، **المقبرة البحرية**، مجلة الرسالة، العدد22، مصر، 1933م.